الرفاق الثلاثة

عن الأنكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

« عزيزي :

إن خطابك المؤرخ في ١٦ من هذا الشهر قد تضمن من الحماقات ما تضمنه كل خطاب تكتبه لأن المركز الذي وضعت نفسك فيه سيبه فقدانك التروي والتعقل . . . »

بهذه الألفاظ بدأ هنري وارنج خطابه الذي كان يمليه على كاتبته وهو جالس إلى مكتبه وهي بجانبه تكتب على الآلة الكاتبة . ثم نهض متبرماً ومشى وملأ ثم الملالة والسأم بادية عليه حتى وصل إلى النافذة فأطل منها ثم أخرج من جيبه خطاب ابنه فأعاد تلاوته وهو يتأفف وقال : « خمسون جنيهاً ! هذا كثير ! هذا تصرف غير معقول »

ثم عاد إلى السكوت وإلى الإطلال من النافذة فنبهته الكاتبة قائلة : « ألا تريد إتمام الخطاب ؟ »

فمشى نحوها ووضع يده على كتفها برفق وقال في صوت يصطنع فيه العذوبة : « لقد كنت شارد الذهن - إن ابني الشقي - »

وتنهد ثم قال : « إن ابني يعاملني معاملة سيئة ، فقد رفض مساعدتي إياه على اختيار عمل مناسب واشتغل بحرفة التمثيل ثم تزوج من ممثلة تعسة »

وكان الأب يرتعش عند ما ذكر الجملة الأخيرة . فقالت الكاتبة : « هل هذه الممثلة جميلة ؟ »

قال هنري : « إنني لم أرها ولا أريد أن أراها » . فقالت الكاتبة : « والخطاب ؟ »

قال : « أتركه الآن » . ثم أنعم نظره في عنق الكاتبة وذراعيها وقال : « ألا تتعبين من العمل يا مس ماسترز ؟ »

فقالت : إنني أتعب كثيراً ولكن لي جلداً على العمل

قال : ألا تحبين التنزه و ... والسرور ؟ فقالت : إنني أجلس أحياناً في مقهى من مقاهي حي سوهو

قال : إن للمقاهي كثيرة في أحسن من هذا الحي الحقير . ثم سكت وعاد ذهنه إلى الشرود ، وبعد قليل التفت إليها وقال : ماذا كنت أقول لك الآن ؟

فقالت : هل كنت تدعوني إلى العشاء ؟

قال : إنني آسف ، لقد كنت أفكر ...

فقاطعته قائلة : إنني أقبل إذا أردت

فابتسم وبدا على وجهه السرور ؛ وقال : هذا حسن

قالت : ولكن خطاب ابنك ؟

فتحولت حالته مرة أخرى إلى الغضب وقال : إنني لن أبعث إليه بدرهم واحد

قالت : إذا كانت هذه هي معاملتك لابنك فإني لن آتمنك على نفسي

فقال الأب في شيء من الغضب : لماذا تهتمين كثيراً بابني ؟

قالت : أنا لا أهتم ؛ فقال : إذن فلماذا ... ؟ فأحنت رأسها

العربية بقسم اللغات الشرقية بجامعة لندن كتاباً يحمل العنوان الذي ورد في سياق النبذة التي سجلها الأديب ، وإنما عنوان كتابه هو : « مقدمة عن تاريخ التعليم في مصر الحديثة »

An Introduction to the History of Education in Modern Egypt.

والكتاب مطبوع في لندن عام ١٩٣٨

ولا يحوي هذا الكتاب أية معلومات من النوع الذي ذكره الكاتب ، وإنما الشائع أنه كانت في مصر في الجيل الماضي بضع نساء لهن إلمام بالنحو والعروض والشعر ومنهن : « فاطمة الأزهرية » و « ستيتة الطبلاوية » . وقد درست عليهما السيدة « عائشة التيمورية » القصائد والموشحات والأزجال . فإذا كان حضرة الكاتب يعرف غير ما تقدم ، فأرجو ألا يبخل بإرشادنا إلى ما فيه النفع

محمد أمين حسونة

ولم تجبه ؛ وكان منظرها وهي تحدث باعثاً لخاطر جنوني في نفس هذا الشيخ الفاني فانحنى وقبل شعرها اللامع ؛ فقالت بصوت خافت وهي لا تزال مطأطئة الرأس : متى ... غداً ؟

فأجابها : نعم في الساعة السابعة

قالت : وماذا تقول في الخطاب ؟

ثم نظرت إليه وهي تبتسم ابتسامة مغرية ؛ فقال : أنمي الخطاب كما تريدين

فقالت وهي تستأنف الكتابة : أما عن المال ، فإن طلبك إياه وقاحة

قال : اكتبي كما تريدين . فعادت إلى الكتابة وهي تقرأ ما تكتبه : ولكنني مع ذلك أبعث إليك تحويلاً بمبلغ خمسين جنيهاً ، ثم قالت : هل أوقع الخطاب بتوقيع « والدك الحنون » ؟

فلم يجبها ؛ وسكتت هي أيضاً

* * *

كان مطعم لويز بلو مزدحماً عند ما دخل هنري وكاتبته فجلسا متقابلين في وسط الزحام على جانبي منضدة ، وكانت تحدثه بصوت رخيم وينظر إليها نظرة إعجاب وسألها : « هل أبواك على قيد الحياة ؟ »

فبدا عليها الاضطراب وقالت بصوت متغير : « إن أبي لا يزال حياً »

فقال هنري : « إنني آسف إذا كان هذا السؤال قد جدد لك ذكرى تريدين نسيانها ، ولكنني أشتاق إلى معرفة شيء عنك

قالت : « إن أبي تزوج بعد أمي ولم أستطع الحياة مع زوجته فتركتها » فقال هنري : « ألم تفكري في العودة ؟ »

قالت : « إذا أردت فإنني لا أستطيع لأنه طردني من المنزل »

فقال : « ولكنه بغير شك أعطاك شيئاً من المال »

قالت الكاتبة : لقد أرسلت إليه مرة أطلب مالاً فرفض

فقال هنري : « يا له من وحش ! أيستطيع الآباء أن يفعلوا هذا ؟ ... »

ثم تذكر الأب بعد ما نطق بهذه الجملة أنه كان بالأمس يريد أن يرفض مطلب ابنه في المال تخجل ، وفي هذه اللحظة رأى شاباً يدخل المطعم وقد دلت حالته على أنه يبحث عن إنسان بعينه ، لأنه كان يدور بلحظه حول كل الناضد ، ولما أدار هذا الشاب وجهه عرفه هنري وإذا به ابنه

احمر وجه هنري خجلاً ونظرت إليه الكاتبة مستغربة ، ثم تمتم بكلمات فهمت منها أنه قد آن أوان الذهاب

ولكن قبل أن يتحرك امتدت إليه يد الشاب وقال : سعدت مساء يا أبي

فسأله هنري : ما الذي تعنيه باقتفاء أثري ؟

قال الابن : أليس لي يا أبي أن ... ولكن قبل أن يتم جملته وقع نظره على الكاتبة فسكت ، وأشار له أبوه بالجلوس فشكره وجلس ، وقال هنري وهو يقدم لابنه كأساً من النبيذ : قل لي لماذا أتيت إلى هنا ؟

فقال الابن ببرود : أليس لي أن أبحث عمن يأخذ زوجتي فيدعوها إلى العشاء في المطاعم ؟

قال هنري وقد احتدم غيظاً : زوجتك ! هذه كاتبتي يا روبرت » . فقال روبرت : « هذه السيدة كاتبتي أنا يا أبي »

فنظر هنري إلى ابنه ثم إلى الكاتبة فابتسمت ووافقت على قول روبرت فعادت إلى الأب حالة الغضب ، فقال روبرت : « إننا نريد يا أبي أن نصطلح . فزمجر هنري وقال الابن : « لقد مرت بي وبزوجتي ظروف عصيبة ففكرت في هذه الحيلة . وجاءت للاشتغال عندك ونحن آسفان على إغضابك »

وقالت الكاتبة : « إنني على ما أراه قد حزت رضاك وإعجابك فلا أظنك تظل على غضبك من زواج ابنك بي »

ومدت قدمها من تحت المنضدة نحو قدمه لتعاكسه كما كان يفعل منذ خمس دقائق . ولكنه لم يجرؤ على ذلك ، وقال وهو مغضب : « لقد خسرت كاتبتي يا روبرت »

فقالت وهي تبتسم : « خير لك أن أكون زوجة ابنك »

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)